مركز السيطرة والآليات الدفاعية

الأستاذة الدكتورة بثينة منصور الحلو
كلية الآداب - جامعة بغداد
قسم علم النفس

أهمية البحث والحاجة إليه

لقد خلق الله عز وجل الطبيعة متوازنة ومستقرة ، وقد خلق الإنسان في هذه الطبيعة متوازناً أيضاً ولذلك فهو يسعى باستمرار الى العودة الى حالة التوازن كما حدث فيه شيء من الاضطراب ، فهو اما ان يغير مافيه لكي يتوافق مع مايحيط به ويعود الى التوازن او ان يتكيف اساساً لما حوله لكي يحدث ذلك التوازن .

فالتوافق Adptation والتكيف Adjustment من المفاهيم التي ترافق الإنسان مدى حياته ويعمل باستمرار لبلوغها بشتى السبل ، فقد يكون ذلك بأنه يغير مالديه من افكار واتجاهات ، أو ان يغير استراتيجيات تعامله او يستخدم آليات دفاعية تفيد في إخضاع ضغوط الحياة الى أشياء مقبولة . ان الإنسان في ذلك انما يقيم العلاقات بينه وبين البيئة ، ولكي يقيم مثل هذه العلاقات يستلزم ذلك منه جهود غير عادية يجب ان يقوم بها لكي يحقق مايرمي اليه ، ولذلك فأن علماء النفس يشددون كثيراً على القدرات التي يملكها الفرد وذكائه وقدراته المعرفية لكي يتوافق مع بيئته .

ومن المفاهيم المهمة في التوافق مسألة التوازن في المجال النفسي داخل الكائن الإنساني ، فهناك نسق من العمليات الداخلية ، تمارس بصورة تلقائية (لا شعورية من وجهة نظر التحليل النفسي الدنيامي – شعورية من

وجهة نظر المدرسة المعرفية) لحماية وصون وحدة هذا الكيان من الضغوط (ضغوط الهو والانا الأعلى من وجهة نظر دنيامية – وضغوط الموقف التوتري من وجهة نظر المدرسة المعرفية) ، هذه العمليات تدعى بآليات الانا الدفاعية Ego–defense mechanism لأنها تمارس من قبل ذلك الجزء من الجهاز – وفق تصور فرويد الذي يدعى الانا ، وهذ الآليات التي يمارسها الانا بالتعامل مع العالم الخارجي من خلال مايسمى بأختيار الواقع .

وحدة هذا الكيان وتماسكه يطلق عليها قوة الانا ego – strength ، فالآليات الدفاعية هي إجراءات او وسائل يلجأ الانا الى استخدامها في موقع يتعرض من خلاله التهديد Therat . (بهنام ، ٢٠٠١ ، ص٤) .

ان هذه الآليات الدفاعية تختلف من حيث استخدامها من قبل الأفراد من حيث النوعية والدرجة ايضاً وذلك اعتماداً على شخصية الفرد او مايحمله من اتجاهات وسمات للشخصية ، فالفرد يعتقد ان نتائج سلوكه مايترتب عليها انما ينشأ اساساً اعتماداً على مايقدمه من مجهود وما يملكه من قدرات وقابليات وهذا ما أطلق عليه روتر في ١٩٦٦م بذوي المركز الداخلي Internal Locus of Contral . اما الذين يرون ان ما يصيب الفرد من نتائج يعتمد على الحظ والقدر والصدفة وسيطرة الآخرين من حوله وقوتهم ، ومثل هؤلاء الأفراد قد أطلق عليهم روتر بذوي السيطرة الخارجية (الخارجين) Extexnal Locus of Contral .

ومن هنا تبرز مشكلة البحث في انها تتحدد في أي الآليات يستخدمها ذوي السيطرة الخارجية وأيها الذي يستخدمها ذوي السيطرة الداخلية لأن ذلك يعتمد اساساً على الاتجاه المعرفي للفرد . فهو كيف يدرك العالم من حوله وبالتالي فهو يستخدم الآلية التي تتوافق مع هذه البيئة وبما يجلب التوازن النفسي له . فهل هناك اختلاف في الاستخدام خصوصاً وان الباحثة لم تعثر على دراسة (حسب علمها) قد تناولت هذين المتغيرين بالدراسة وترى الباحثة ان دراسة هذين المتغيرين له من الأهمية البالغة في إمكانية التعامل مع هاتين الفئتين وخصوصاً من ناحية مساعدتهم للوصول الى الصحة النفسية السليمة حيث تبين بعض النظريات ان هناك علاقة بين

اضطرابات الشخصية والآليات الدفاعية العاملة فيها .(Kernberq K1967 . (K p 18

هدف البحث

المقارنة في الآليات المحددة بـ :

أ. الإنكار **ب.** التبرير **ج.** الإلغاء

على وفق متغير مركز السيطرة

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بطلبة الجامعة للمراحل الدراسية الأولية للدراسة الصباحية ومن الجنسين .

تحديد المصطلحات

أولاً : الآليات الدفاعية defense mechanisms

يعرفها حجازي انها مجموعة عمليات تلجأ اليها النفس الإنسانية للاحتماء من الانا الأعلى او الخطر والتهديد الخارجي مادي او معنوي يمس القيمة الذاتية (حجازي ، ١٩٧٦ ، ص٣٦٧) .

ويرى فيلو Filloux انها جميع الطرائق التي يستخدمها الانا في الصراعات القابلة أن تؤدي الى عصاب (فيلو ، ١٩٧٨ ، ص٩٦) .

اما ولتن Walton فيرى انها وسائل يستخدمها الانا لغرض إبقاء الذات في حالة توازن بين متطلبات الحوافز البدائية (الأولية) والواقع الخارجي ورقابة الانا الأعلى (Walton , 1987 . p37) .

ويتبنى البحث الحالي تعريف بهنام ٢٠٠١ ، حيث يرى ان الآليات الدفاعية إجراءات وقائية او أساليب حماية يلجأ إليها (الانا) او الفرد لغرض حماية نفسه والسيطرة على مظاهر التوتر في الموقف الخارجي والداخلي .

اما التعريف الإجرائي فهي الدرجة التي يحصل عليها المجيب من خلال إجابته على مقياس الآليات الدفاعية وهي الإنكار Denial والتبرير Rationalization والالغاء Undoing . وقد عرف بهنام هذه الآليات بالآتي:

١. **الإنكار Denial**

هـو التغاضـي او التجاهـل لموقـف التهديـد الـذي يواجهـه الشـخص ومحاولة التعامل معه على انه موقف غير مهدد .

٢. التبرير Rationalization

هـو اللجـوء الـى التسـويفات العقليـة والتبريـرات المنطقيـة التـي يعتقـد الشخص انها سوف تساعده على إضفاء صفة المنطـق والمعقوليـة والشـرعية على موقف التهديد .

٣. الإلغاء Undoing

محاولة تسوية موقف التهديد وتصفية آثاره المكددة من خلال سلوك معـاكس للسـلوك الـذي ادى الـى موقـف التهديـد (بهنـام ، ٢٠٠١م ، ص١٥-١٦) .

ثانياً : مركز السيطرة Locus of Contral

عرفـه روتـر : هـو ادراك الفـرد لنتـائج الاحـداث السـلبية والايجابيـة بانهـا متعلقة بسلوكه(الداخليين) او تعلقها بالحظ والقدر(الخارجيين) (Finch, 1991).

ويعتمد البحث التعريف الذي وضعته لباحثة كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير.

حيث عرف هو متغير يعبر عن اعتقاد الفرد بقدراته وقابلياته في السيطرة على سلوكه وعلى المتغيرات التي تواجهه ويتتبع ذلك ايمانه بأمكانية التبوء بنتائج سلوكه (الحلو ، ١٩٨٩ ، ص٢١) .

اما التعريف الاجرائي: ان مركز السيطرة للفرد يتمثل بالدرجة التي يحصل عليها الفرد على مقياس مركز السيطرة ، فكلما ارتفعت درجته على المقياس اتجه نحو السيطرة الداخلية ، وكلما انخفضت الدرجة اتجه نحو السيطرة الخارجية .

الدراسات والادبيات السابقة

يتناول هذا الفصل الادبيات والدراسات في متغيري الدراسة الآليات الدفاعية ومفهوم مركز السيطرة .

أولاً : الآليات الدفاعية

اعتقد فرويد ان الانا تنظم وظائفها ، وان اهم وظيفة للانا هي تنظيم علاقة الفرد بالبيئة ، وتعد الآليات الدفاعية وسائل لهذا التنظيم وعلى هذا الأساس فان وظائف الانا لاتعتمد بصورة مباشرة على الحوافز . ومن وجهة نظر هذا الاتجاه لم يعد الصراع Confict هو الحجر الأساس الذي يبنى عليه حوار الفرد مع البيئة والاستقلال الكامل للانا (Pertrovsky , 1987 , P83) .

يؤكد هوفر Hoffer ان هناك تمييزاً دائرياً بين الأدوات التي يستخدمها الانا في الصراعات أطلق عليها الدفاعات والأدوات الأخرى التي يستخدمها الانا هي أدوات تنظيمية (العمليات المعرفية Cognation Process) والتي هي ضمن مجال الصراع الغير مقيد . وقد افترض هوفر ان ما يسمى بالتنظيم الدفاعي والذي يهدف اساساً الى تجنب القلق الكلي لغرض السيطرة عليه . وان التنظيم الدفاعي هو جزء من تنظيم الانا الكلي والذي يكشف عن الإمكانيات للتكيف مع الصراعات النفسية غير المتوازنة ومحاولة ايجاد الحل في الظرف الراهن .

ان التنظيم الدفاعي لايستخدم تلك الطرائق التي يطلق عليها الآليات الدفاعية لتشويه او اعاقة، لكن كعمليات معرفية لغرض السيطرة او التوجيه او تغيير محتوى الآثار الفكرية او الوجدانية او الحركية ، ويرى هوفر هذا التنظيم قد تبلور او تشكل من خلال التكوين الجيني للفرد والذي يحدد الميل الى تنظيم الخبرة النفسية (Lichtenberg , 197 , P71) .

يرتبط مفهوم الآليات الدفاعية بالتحليل النفسي وبفرويد ، حيث ركز على عملية الكبت Repression وعدها الوظيفة الأساسية للجهاز النفسي والجزء الذي يقوم بهذه العملية هو الانا ego، وهو عملية شعورية يتم من خلالها ابعاد الحوافز والرغبات المقبولة الآنية من الهو (id) ومن خلال الكبت نشأت كل الدفاعات الأخرى، ولذلك فقد اقترح فرويد نسقاً من التصنيف عندما افترض ان الدفاعات هي جوانب خاصة بالاضطرابات العقلية ، فالإسقاط هو آلية البارانويا والقمع هو آلية تظهر في الهستيريا

التحويلية، والانقلاب على ألذات مرض الاكتئاب، هكذا عد فرويد الآليات الدفاعية حجر الزاوية في البناء الكلي للتحليل النفسي.

وفي المجال المعرفي ، قدم هان Haan في ١٩٦١م انموذجاً بديلاً للآليات الدفاعية الكلاسيكية (التحليلية) وأطلق عليه آليات التعامل مع الأحداث Coping Mechansim وقد وضع مقارنة بين وجهة نظر التحليل النفسي ووجهة نظر علم النفس الأكاديمي ، حيث يرى ان السلوك او نظرنا اليه من خلال آليات الدفاع هو غير السلوك لو نظرنا اليه من خلال آليات التعامل، الا انه يرى ان آليات المواجهة هي فئات فرعية من آليات الدفاع (Haan , 1982 , P55).

ان مفهوم هان عن الدفاع وتحويله الى مفهوم التعامل Coping يعني ان هناك فرقاً في وظيفة الانا الأساسية ، حيث ان الانا في حالة الدفاع تفتقر الى القوة الضرورية واللازمة لمواجهة الموقف ولهذا فهو يلجأ الى الآليات الدفاعية ، اما في حالة التعامل مع الأحداث تكون الانا في حالة تأهب قصوى لشن الهجوم على الموقف لغرض احتوائه والسيطرة عليه من خلال تفكيك الموقف الى عناصره الأولية ومعرفة أجزاءه والسيطرة عليه (بهنام ، ٢٠٠١م ، ص٣٧-٣٨) .

ثانياً : مركز السيطرة Locus of Contral

ظهر مفهوم مركز السيطرة من خلال نظرية التعلم الاجتماعي وقد استحدثه روتر Rotter وافترض ان الأفراد يظهرون توقعهم العام وفقاً لقابلياتهم للسيطرة على الأحداث .

ان نظرية التعلم الاجتماعي تبحث في كيفية صنع الاختبارات من قبل الأفراد وحول الاحتمالات المتعددة والممكنة لسلوكهم ومن هنا كان منطلق روتر في مفهومه لمركز السيطرة ، فأن الفرد يستطيع ان يتنبأ اذا كان هناك احتمال واحد للسلوك وكذلك فأن للتنبؤ هنا وظيفة تنظيم احتمالات السلوك . وقد يلجأ الى التغير لتحديد أي الاحتمالات هي الأقوى لحدوث هذا السلوك دون غيره .

ولتحديد أي السلوك يكون أكثر احتمالاً للحدوث فأن ذلك يعتمد على التوقع، وقيمة التعزيز والموقف النفسي ، وقد وضع روتر معادلة لذلك:

* Bpxs . ,Ra = F (Ex , Ra , S1 and Va , S1)

ويتضح من المعادلة الدور الذي يلعبه الموقف النفسي كمحدد للسلوك وهذا يعني انه ينبغي ان تحتسب حساب المحتوى او الإطار الذي يتم فيه السلوك ، فالطريقة التي يرى فيها الإنسان الموقف ، او تعريفه تعريفاً نفسياً تؤثر في قيمة كل من التعزيز والتوقع ومن ثم يؤثر في القدرة الكافية بحدوث سلوك ما (فيرز ، ١٩٨٦م ، ص٢٢٠) .

* B = السلوك R = التعزيز P = احتمالية
E = التوقع F = دالة S = الموقف
V = قيمة

إجراءات البحث

للإجابة على تساؤل البحث لابد من توفر أداتين احدهما لقياس مركز السيطرة، والآخر لقياس الآليات الدفاعية . وقد اعتمدت الباحثة مقياس السيطرة الذي أعدته في ١٩٨٩م كجزء من متطلبات قبل درجة الماجستير، حيث تميز هذا المقياس بالصدق والثبات العاليين.

كما اعتمدت الباحثة مقياس بهنام ٢٠٠١ والذي أعده لقياس الآليات الدفاعية، وقد تمتع بالصدق والثبات العاليين. وقد اعد المقياسين لعينة طلبة الجامعة وهذا مادعى الباحثة الى اعتمادها.

طبق المقياسين على طلبة الجامعة / كلية الآداب، وقد بلغت العينة (١٢٠) طالباً وطالبة حيث بلغ عدد الذكور (٦٨) وبلغ عدد الإناث (٥٢) موزعين على (٨) أقسام وكما موضح في الجدول (١).

جدول (١)
توزيع عينة البحث

القسم	ذ	أ	المجموع
اللغة العربية	١٢	٨	٢٠
اللغة الإنكليزية	١٢	٥	١٧
الجغرافية	١١	٧	١٨
التاريخ	٧	٦	١٣
علم النفس	١٠	١٠	٢٠
الاجتماع	٨	٤	١٢
الفلسفة	٤	٦	١٠
الآثار	٤	٦	١٠
المجموع	٦٨	٥٢	١٢٠

تحديد فئتي مركز السيطرة

لغرض الحصول على فئتي مركز السيطرة فقد تم اختيار الطلبة الذين حصلوا على الدرجات العليا على مقياس مركز السيطرة والذي يعني الاتجاه الداخلي والطلبة الذين حصلوا على أوطأ الدرجات على مقياس مركز السيطرة والذي يعني الاتجاه الخارجي . وقد تم اقتطاع ٣٠ درجة العليا و ٣٠درجة الدنيا . وقد طبق الاختبار التائي t-test لعينتين مستقلتين لأختبار الفروق وكما موضح في الجدول (٢) .

جدول (٢)
الاختبار التائي لتحديد فئتي مركز السيطرة

الفئتين	المتوسط	الانحراف المعياري	القيمة الفائية
الداخلية	١٨٩,٦	٤٧,٤	٥٨,١٩
الخارجية	١٠٢,٩	٢٥,٧٢	

لأن الفرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى وهذا يشير الى الحصول على فئتين في مقياس مركز السيطرة .

لقد تحدد هدف البحث بالتعرف على الآليات التي يستخدمها طلبة الجامعة وفقاً لمتغير مركز السيطرة ، ولغرض تحديد الآليات التي يستخدمها الأفراد من ذوي السيطرة الداخلية والأفراد من ذوي السيطرة الخارجية، فقد

استخدم أسلوب تحليل التباين ذي العاملين بإعادة القياس لمتغير واحد لعينة تكونت من (٣٠) فرداً من ذوي السيطرة الداخلية و(٣٠) فرداً من ذوي السيطرة الخارجية ، وقد ضمنت النتائج في الجدول (٣) .

جدول (٣)
تحليل التباين لأختيار دلالة الفروق بين فئتي مركز السيطرة في استخدام الآليات الدفاعية

مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع التباين	القيمة الفائية
بين الأفراد	٥٩	٠,٦٥	
بين المجموعات	١	٠,٠٢	٠,٠٠٥
ضمن المجموعات	٥٨	٠,٧٧٢	
ضمن الأفراد	١٢٠	١٠,٦١	
بين الآليات	٢	٣٠٥,١٣	٧٦,٨٥
التفاعل	٢	٩٨	٢٤,٦٨
ضمن المجموعة بين الآليات	١١٦	٣,٩٧	

الفروق ذو دلالة مستوى ٠,٠١ ، ويمكن توضيح التفاعل في الشكل (١)

الشكل (١)
التفاعل بين متغيري البحث

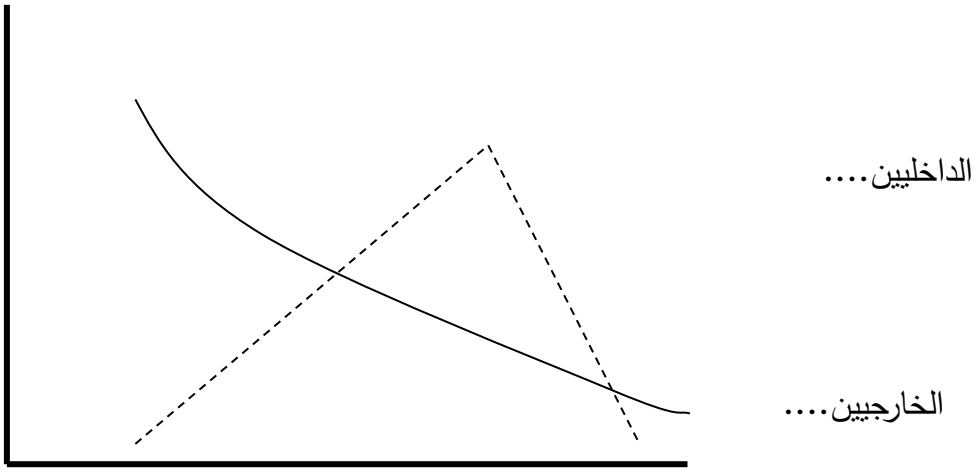

يظهر الشكل ان الداخليين يستخدمون آلية التبرير أكثر من أي آلية أخرى ، وهذا ما يتفق مع المفهوم الذي يطرحه روتر في ان الداخليين يعتمدون ما لديهم من قابليات وقدرات في مواجهة المشاكل والضغوط التي

تواجههم وهم يعتقدون ان نتائج السلوك تعتمد على ما يملكون ولذلك فهم يلجأون الى تبرير ما يسلكون او ما وصلوا اليه بينما نرى ان الخارجين يلجأون الى هذه الآلية بدرجة اقل وهذا يعني أنهم ووفق ما يعتقدون يعتمد على الحظ والصدفة ، ويمكن ان تتفق هذه النتيجة مع نتائج البحث الذي توصلت له الباحثة في رسالة الماجستير ،عندما ظهر ان الخارجين يلجأون الى التعامل مع الضغوط بالتهرب وتجنب وإنكار المشكلة بينما يواجه الداخليون معرفياً المشكلة من حيث وضع التفسيرات المناسبة لها .

المصادر

- بهنام ، شوقي يوسف ٢٠٠١م ، الآليات الدفاعية وعلاقتها بقوة الانا ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بغداد .

- الحلو ، بثينة منصور، ١٩٨٩م ، مركز السيطرة والتعامل مع الضغوط النفسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بغداد .
- حجازي ، مصطفى ، ١٩٧٦م ، التخلف الاجتماعي ، منشورات معهد الانماء العربي .
- فيرز ، أي جي بي ، ١٩٨٦م ، نظرية التعلم الاجتماعي لروتر في غازا ، جورج وآخرون ، نظريات التعلم دراسة مقارنة : الكويت ، عالم المعرفة .
- فيلو ، مصطفى ، ١٩٧٨ ، اللاوعي ، ترجمة جان كميت : المنشورات العربية، بيروت .
- Haan , Norma , 1982 , The assessment of coping defense , and stress , In Haan Book of stress . Theoretical and clinical aspects .
- Krenberg ,Otto, 1967,Borderline personality disorder.J.of psychoanalysis Association (15) .
- Leichsenring Falk , 1997 , Development and First Result of the borderline personalty Inventory , A self-report Instrument For assessing border line personality Organization , J.of personality .
- Petrovsky , A.V , 1987 : Aconcise psychogical dictionary , progress publishers , Moscow .
- Phares ,E , 1974 , Relationship of Internal – External control to Defensive preference . J .of consulting and clinical psychology , vo 42 .
- Walton ,H,1985 : Dictionary of psychiatry , Bla kwell Scientific publication , Landon .